قراءة في منجز مخرج عالمي لا تعترف به المؤسسة الثقافية في بلده:

كين لوتش المخرج السبعيني يواصل تقاليد الواقعية الاجتماعية والمقاومة بالسينما

ابراهيم درويش*

■ مقولة «لا كرامة لنبي في وطنه» تنطبق على المخرج البريطاني المعروف كين لوتش، الذي احتفى مهرجان كان بفيلمه الاخير وقدم له سعفته الذهبية «الريح التي هزت حقل الشعير».

كين لوتش الذي بلغ السبعين من عمره (ولد عام 1936) ظل يعبر عن احلام وطموحات الطبقة العاملة منذ ان بدأ مسيرته السينمائية في الستينات من القرن الماضي. ومع ذلك فهو يظل خارج المؤسسة الثقافية الرسمية، وفيلمه الاخير، لن يعرض كما يقول مقربون من المخرج في كل دور السينما البريطانية في نهاية الشهر الحالي، ولم تتلق الشركة المنتجة الا 30 طلبا فيما سيعرض في خمسين في جمهورية ايرلندا، اما في فرنسا فبعد الاعلان عن جوائز كان فقد ارتفع الطلب من 120 الى 300 دار سينما. يقول العارفون بكين لوتش ان مخاوفه من رفض الجمهور او المؤسسة الثقافية لفيلمه مبالغ فيها، ولكن الارقام تلخص كيف احتفل العالم بأهم مخرج بريطاني في مجال افلام الواقعية ـ الاشتراكية/ الاجتماعية، وتجاهل المؤسسة له. وانتقد لوتش الاسبوع الماضي من اسماهم نقاد اليمين المحافظ الذين اتهمهم بتوجيه الضربات لفيلم لم يشاهدوه بعد. حقق لوتش وخلال اربعين عاما من الجد المتواصل في حقل الانتاج السينمائي، التلفزيوني، المسرحي انجازات كبيرة على صعيد الصورة، وعلى صعيد بناء رؤية سينمائية متقدمة، فهو ابن ثقافة السيتنات عندما كانت لندن تتلوى على وقع اغاني البيتلز، وتشاهد مسرحيات اوزبورن الغاضبة، وتتأثر بنظريات الموجة الجديدة، خاصة كتابات ميشيل تروفو وافلامه في «كراسات السينما»، واعمال جون لوك غودارد، واضاف اليها مؤثرات من السينما في هوليوود. وظلت افلام لوتش مغروسة في السياق الاجتماعي، وملتزمة بقضايا الطبقة العاملة، وبقضايا التحرر العالمي، حيث قدم افلاما مثل «وداعا كارا» عن نيكاراغوا، و «ارض الحرية» عن الحرب الاهلية الاسبانية، واخيرا عن الموضوع المثير والحساس، وهي فرق القتل، وظهور الجيش الايرلندي الحر في فيلمه الاخير «الريح التي هزت حقل الشعير». وظل لوتش في كل ما قدم وفيا لآمال وطموحات الكادحين، من سكان العمارات السكنية المكتظة، والعمال الذين خسروا اعمالهم وكفاحهم. وظل كذلك المخرج المتواضع الذي يترك للكاميرا حرية الحركة، ويترك الاحداث تتداعى بطريقة فنية خاصة. ولكن افلام لوتش كانت مسؤولة عن اشعال نقاشات وجدل في الواقع البريطاني، خاصة في قضايا العنف المنزلي «كاثي تعود للبيت»، و «البقرة المسكينة»، و«الخنفساء... الخنفساء»، عندما تقبل المرأة التي تعيش مع رجل ذي سوابق اجرامية بالعيش معه من اجل ابنائها وليس سعادتها. اتقن لوتش فن التوثيق السينمائي في صناعة الفيلم مما جعل الممثلين اشخاصا حقيقيين هدوا ما يراه لوتش المؤسسة البريطانية. ففيلم «كاثي تعود للبيت» بموضوعه عن التشرد، اشار الى قدرة الفيلم/ الدراما التلفزيونية على تحفيز النقاش حول قضايا اجتماعية. ولكن لوتش في هذا الفيلم لم يتطرق الى البعد السياسي للقضية ومن هنا طور مع كاتب نصوصه الذي تعاون معه في اكثر من فيلم توني غارنيت في فيلم «كيس» اسلوبا قامت فيه الكاميرا بمراقبة الممثلين عن بعد وتركتهم يتصرفون ويعيشون بحرية وكأنهم اشخاص حقيقيون يقومون بعمل يومي. وكجزء من تأكيد الواقعية على افلامه وفي مكان التصوير، اتقن لوتش فن استخدام ممثلين غير محترفين في افلامه، او الاشخاص الذين لديهم تجربة مماثلة واعطاهم فرصة اعادة تمثيلها في السينما، ولكنه كان يخفي عنهم بعضا من محتويات النص من اجل الحصول على رد فعل طبيعي منهم. اسلوبه وطريقته في الاخراج، تتناقض مع شخصيته المتواضعة، فهو معروف عنه في اثناء التصوير انه لا يعلن للفريق العامل معه بداية التصوير قائلا «اكشن» او «كات»، بل يترك الممثلين والكاميرات تتحرك بعفوية تامة. وفي محاولته لاستخلاص العواطف الحقيقية، الطازجة كان احيانا يلاقي انتقادات. انجاز لوتش السينمائي لم يتم دون معارك، مع الممولين والمنتجين ومع الرقابة التي لم تتسامح مع المواد والموضوعات التي اراد تقديمها والتطرق اليها. فبعد فيلم «كيس» ظل لاكثر من عشرة اعوام يحاول البحث عن ممولين لفيلم جديد، وعاد للتلفزيون من اجل انتاج نص كتبه جيم الن عن خيانة الطبقة العامة من قبل القيادة العمالية للنقابات في السنوات التي قادت الى الاضراب العام عام 1926. وهنا موضوع الخيانة واضح في معالجات لوتش لقضايا الطبقة العاملة، وظل لوتش يتعاون مع الن لمدة ثلاثين عاما، واضاف اليه تعاونا آخر مع باري هاينز، التعاون الذي بدأ فيلم «كيس»، وتواصل في تقديم اضاءات مختلفة عن حس الهجران والخيانة للمسحوقين. في التسعينات من القرن الماضي تعاون لوتش مع كاتب نصوص جديد وهو بول لافريتي. ولكن لوتش عانى الكثير من المنتجين البريطانيين، فقد ظل يدور في مكاتب «وردور ستريت» مركز صناعة الافلام البريطانية مع حقيبته المليئة بالمشاريع باحثا عن مكتب او داعم لفيلم من افلامه. وعندما قرر توني غارنيت السفر الى امريكا وجد لوتش نفسه وحيدا. ومن اجل مواصلة حرفته ورسالته عاد للتلفزيون الذي عمل فيه في هيئة الاذاعة البريطانية «بي بي سي»، ولكن هذه المرة مع ATV الذي اصبح ITV واخذ يصنع افلاما وثائقية في وقت لم يعد فيه للموجة اليسارية وجود في الحياة التلفزيونية او السينمائية البريطانية، وهنا دخل معارك مع الرقابة، ووجد ان مفهوم الحيادية الذي تتعامل معه المؤسسة التلفزيونية التجارية ما هو الا مفهوم خاطئ. ففي فيلم «مسألة قيادة» حاول لوتش اعطاء صوت لاؤلئك الغاضبين على قيادتهم في اتحادات النقابات العمالية. هنا لعب التايكون الذي اتضح فيما بعد زيفه روبرت ماكسويل والذي كان يملك حصة في المحطة دورا في منع عرض الفيلم. كما تعرض لوتش عندما قرر العودة للمسرح لصدمة عندما قرر مسرح «رويال كورت» منع عرض مسرحيته التي اخرجها عن نص لجيم الن، «جحيم». تعتبر هذه الفترة من اكثر الفترات كآبة في حياة لوتش السينمائية، حيث وجد انه لن يستطيع في ظل هذا الجو الصارم انتاج افلام تعارض الرأسمالية، ومن ثم بدأ باخراج افلام تجارية. عودة لوتش جاءت بانتاج فيلمه «الاجندة السرية» عن ممارسات الفرقة الملكية الايرلندية التي تبنت سياسة اطلاق الرصاص للقتل، بمعنى الاغتيال، عاد لوتش وامسك مرة اخرى بزمام حرفته الفنية المميزة.. وتبعتها اعمال اخرى مثل «الرعاع»، «مطر الحجارة»، «الخنفساء .. الخنفساء» التي تعتبر تواصلا مع تجربته في برنامج «مسرحية الاربعاء» في تصويرها للحياة التعيسة والقاسية في بنايات الكتل الاسمنتية والتي عاشها معظم البريطانيين. وحققت افلام لوتش نجاحات دولية، في الوقت الذي كان يكافح فيه للحصول على اعتراف وتقدير في بريطانيا. واكد فيلم عن الحرب الاهلية الاسبانية «ارض الحرية» موقعه في السينما العالمية. بل قام لوتش باخراج فيلم في الولايات المتحدة حمل عنوان «الخبر والورود» كتبه توني غارنيت. واكد موقعه اكثر من خلال مواصلته لتقاليد الافلام الاجتماعية البريطانية «اسمي جوي»، «سن السادسة عشرة الحلوة». ما يجمع اعمال لوتش هو التزامها بالواقعية الاجتماعية، وكل افلامه هي مواصلة للنقاشات التي طرحها في المسرح او الاعمال الدرامية الاخرى. وعمله الطويل في السينما جعله صاحب بصمة على هذا النوع من الافلام ومقارنته بمخرجين مثل جون شليزنجر، او الان باركر، الذي تحول الى الاعمال التجارية او حتى مايك لي تظل مقارنة بين الاسلوب وليس المحتوى. فمثلا مايك لي يعرف عنه انه يبدأ العمل على الفيلم بدون نص مكتوب وواضح ولكن لوتش كان يبدأ من خارطة معروفة وواضحة، وفي فترة لاحقة كان يزور الاماكن التي تدور فيها الاحداث قبل التصوير.

جاء لوتش للسينما من خلال المسرح والتلفزيون، فقد اخرج اهم مسلسلات الدراما في الفترة الليبرالية التي شهدتها هيئة الاذاعة البريطانية (بي بي سي) مثل «كاثي تعود للبيت» و «البقرة المسكينة». في تلك المسلسلات التي سيواصل لوتش موضوعاتها كان لوتش اول من يقدم فيلما يمزج الواقعية بالاجتماعية، وظل مخلصا لهذا المدخل الذي كان اول مخرج بريطاني يجترحه، حيث خرج بالكاميرا الى الشارع وزاوج بين التمثيل والحركة الواقعية مبتعدا عن التقاليد او المعايير التي كان يتبعها المخرجون وهي افراغ الشوارع من روادها وتصوير المشاهد. في المقابل قام لوتش بادخال بعد واقعي على التصوير من خلال تشجيعه السكان للمشاركة في التصوير والتصرف بنوع من الحرية. ويتذكر المشاهدون البريطانيون اهم لحظة في تاريخ الدراما التلفزيونية في المشهد الاخير من «كاثي تعود الى البيت» عندما كانت كاثي تحضر لركوب القطار كان عمال الرعاية الاجتماعية يأخذون الاولاد لمركز الرعاية الاجتماعية، حيث مزج المخرج بين التمثيل والمشاعر الحقيقية.

كين لوتش ظل رائد السينما الاجتماعية بلا منازع في صناعة الفيلم البريطاني.

وقصته مع السينما هي قصة الجيل الذي عايشه، فهو ابن الخمسينات وابن الطبقة العاملة، كان والده يعمل في مناجم الفحم، وكان طموحه ان يتلقى ابنه تعليما جامعيا، ولهذا فقد وفر هذا العامل لابنه الوحيد كل وسائل الراحة لكي ينافس على الاماكن القليلة التي كانت تتوفر لابناء هذه الطبقة للدخول في اشهر جامعتين في بريطانيا اوكسفورد وكامبريدج. ويتذكر لوتش كيف كان دخول الامتحانات والنجاح بها حدثا مهما في تاريخ العائلة والطبقة العاملة، فالمقاعد المتوفرة قليلة جدا ولهذا كان التنافس عليها حادا، وعليه بذل الابن جهده لكي يحقق حلم والده ويصبح محاميا خاصة ان والده كان يحب قراءة سير المحامين والقضاة. ولكن كينث (كين) لوتش كان قد ربى في داخله هوسا جديدا وهو حب الفن المسرحي. ويتذكر في صغره رحلة والده في قطار بخاري الى المدينة السياحية بلاكبول حيث شاهد كل المسرحيات الكوميدية التي قدمها اشهر الممثلين المسرحيين في تلك الفترة. كما كان والداه يأخذانه الى المواسم المسرحية التي تعقد في مدينته نانيتون وكفنتري وطبعا بلدة شيكسبير ستراتفورد ابون افون. ومن خلال تشجيع استاذ التاريخ قرأ عددا من سير العظماء البريطانيين كما تدرب على قراءة مسرحيات شكسبير وهو ما ساعده كثيرا عندما اصبح ممثلا مسرحيا محترفا في اوكسفورد ولندن. كانت الخدمة العسكرية ضرورية لكي يكمل شروط الدراسة في اوكسفورد. وكان عليه دخول التجربة العسكرية الصعبة التي لم تترك عليه اثرا كبيرا، وعندما انهى التدريبات الشاقة الاولى تعلم طابعا في سلاح الجو، واستغل فترة خدمته لمواصلة هوايته وهواه المسرحي، حيث اقام ونظم عددا من المسرحيات لسلاح الجو ونساء الضباط، واستغل فترة خدمته لدراسة المسرح في بيرمنغهام حيث كان يسافر مرتين في الاسبوع للدراسة. كان حصول لوتش على قبول في اوكسفورد مدعاة لفخر والديه، ولكن رغبة لوتش في دراسة القانون لتحقيق حلم والده، لم تأخذ بالاعتبار انه نفسه لم يكن واعيا لصعوبة الدراسة وانه نفسه لم يكن راغبا فيها، ولهذا امضى سنواته الثلاث في الجامعة ناشطا في المسرح الجامعي، حيث لعب ادوارا ثانوية ورئيسية في مسرحيات متعددة ومثل مسرح اوكسفورد الجامعي في مهرجان ادنبرة السينمائي. وألهته اهتماماته المسرحية عن المهمة الرئيسية التي جاء من اجلها وهي التأهل لكي يصبح محاميا، وفي العام الاول هدد بقطع منحته الدراسية ان لم يهتم لدروسه خاصة انه لم يحضر درسا واحدا. ولكي يتجنب الطرد من الجامعة ركز بعض الوقت على الدراسة حيث كان ينقل احيانا بعض المقالات التي كتبها زملاء السنة السابقة خاصة ان المدرسين لم يكونوا يغيرون الاسئلة. وبعد تجربة مثيرة انتمى الى جمعية قانون في لندن، حيث كان يحضر لتناول العشاء في النادي ويقابل القضاة والمحامين الكبار ولم يعجب لوتش النظام في النادي والذي كان يقوم على توجيه سؤال لاحد الكبار الموجودين في الجلسة وفي العادة يتظاهر السيد كبير هذا بانه لم يسمع المتحدث السيد صغير، وفي مرات كثيرة كان الطلاب يصلون متأخرين لمحطة القطار لأخذ الرحلة الاخيرة الى اوكسفورد.

في السنة الاخيرة من الدراسة بذل لوتش جهدا لكي ينجح ولكنه لم يحقق نتائج جيدة فقد حصل على شهادة القانون من الدرجة الثالثة، وكانت النتائج مخيبة للاب الذي كان يعتقد ان ابنه قادر على تحقيق علامات احسن، على العموم كانت نصيحة الاب العجوز لابنه ان هذه هي حياتك ولكنه لم يخف دهشته من ولده الذي ضيع فرصة العمر. بعد التخرج من اوكسفورد ركز لوتش كل اهتماماته في المسرح، حيث عمل في مسارح الاقاليم وتعاقد مع مسارح في لندن. عندما بدأ لوتش احترافه المسرحي وظهر الى جانب مسرحيين كبار كان المسرح البريطاني وبريطانيا عامة تمر بمرحلة جديدة فقد انتهت فترة الهدوء التي عاشتها البلاد في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وظهر جيل الشباب الغاضب الذي عبر عن نفسه مسرحيا، وكتب فيه توني ريتشاردسون، وليندزي اندرسون وجون اوزبورن صاحب المسرحية الشهيرة «انظر خلفك في غضب» وكان مسرح الـ«رويال كورت» المكان الذي عبر فيه هذا الجيل المسرحي عن غضبه وتطلعه للتحرر، وفي نفس الوقت صارت حبوب منع الحمل متوفرة للنساء وبدأت لندن تتلوى على انغام البيتلز الذين حققوا ثالث البوم ناجح لهم، كما صار بوب ديلان مغني الرفض. كانت سنوات الستينات سنوات الغضب والتحرر والرقص، وعبر المسرح عنها بهذه الصورة.

لوتش الذي ولد في العام الذي قررت فيه هيئة الاذاعة البريطانية (بي بي سي) بدء البث التلفزيوني، بدأ بالتعاون مع التلفزيون من خلال مسرحيات اجتماعية معمولة اصلا لعرضها في التلفاز ومن خلال مسرحيات قدمها واخرجها خاصة «مسرحية الاربعاء» ادخل بعدا جديدا على العرض حيث مزج في اعماله بين الواقعية والخيال والموسيقى، بحيث جعل العروض شعبية بين المشاهدين البريطانيين.

كانت فترة السيتنات قد شهدت بداية المسرح الذي ركز على هموم الطبقة العاملة بما عرف باسم مسرح «صنبور المطبخ»، وهو الذي التفت الى ثقافة «العمارات التابعة للمجالس المحلية» وهي الكتل الاسمنتية التي علمت الفضاء المعماري البريطاني في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وقد التفت لوتش مبكرا لهذه الثقافة التي عالج فيها العنف المحلي، التشرد، الاجهاض كما تشير دراما «كاثي تعود الى البيت» و «البقرة المسكينة» وهي اعمال قامت على مسرحيات كتبتها – دان وعالجها فنيا لوتش.

وكانت بداية لوتش في هذا اللون الدرامي مع مسلسل «على التقاطع» الذي نقل مشاهد حية وحقيقية للشوارع وبنات وعملية اجهاض في شارع خلفي. في كل هذا تجنب لوتش المباشرة السياسية، وهو في فترة الخمسينات لم يعرف عنه انه كان ذا اهتمامات سياسية كل ما كان يطمح اليه هو ان يصبح ممثلا مسرحيا ورغم جذور والده العمالية الا انه كان محافظا وكان يقرأ الصحيفة التي تعبر عن الحزب وهي «ديلي اكسبرس» ورشح نفسه مرة في عملية انتخاب تمثيلية تمت بالمدرسة كنائب عن المحافظين لانه كان يقرأ الصحيفة السابقة. لم يكن والده ايضا من الذين اهتموا بثقافة نقابات العمال. ولكن لوتش كان دائما سياسيا وكان واعيا لاوضاع العمال ووضع والده الذي كان جزءا من هذه الطبقة. ولكن خيبة امله بالمحافظين وسياسات ماكميلان جعلته ينضم لحزب العمال، حيث صار ناشطا في الحزب ووزع ملصقاته وشارك في اجتماعاته ولكنه لاحقا سيخيب امله بسياسات هارولد ويلسون ويترك الحزب ويقترب اكثر من سياسات الاشتراكيين اليساريين وهو وان لم ينضم الى الحزب الشيوعي الا انه كان يحضر مظاهراته، وانتهى اخيرا لمعسكر المعارضين للحرب على العراق. رحلة لوتش هي البحث عن الحقيقة من خلال اداء الممثلين وتفاعلهم مع الموضوع. وبعد اربعين عاما ما زال حماسه للحقيقة والبحث عنها حاضرا وبقوة. واختتم هذه المقاربة بما كتبه لوتش عن نفسه عندما طلبت منه وزارة الخارجية سيرة ذاتية مختصرة لكي تضم الى مشروعه «بلانيت بريتين» «عالم بريطانيا» (1997) ولكي توضع على موقع لنشر الثقافة البريطانية وقد رفضت الخارجية نشرها يقول لوتش:

ولدت عام 1936 في نانيتون، مقاطعة وورك شاير، بدأت العمل كأسوأ ممثل في بريطانيا، واخرجت مسرحيات قتل في عدة مسارح قبل الانضمام الى «بي بي سي» كمتدرب في عام 1963.

ومنذ ذلك الوقت، ولحسن الحظ وعدد من علاقات العمل الجيدة استطعت النجاة في حقل السينما والتلفزيون. كان الموضوع المهم الذي تكرر في اعمالي وظهر في نصوص، جيم الن، باري هاينز، وبول لافريتي، كان استكشاف اللعنتين في الحركة العمالية: الستالينية والديمقراطية الاشتراكية، والاخيرة تمظهرت في المشروع البليري الذي حاول اعطاء وجه راديكالي لسياسات رأسمالية متشددة».

وبعد قراءة هذه السيرة التي كتبها لوتش عن نفسه يعرف السبب الذي من اجله رفضتها وزارة الخارجية.

اعتمدت في هذه القراءة لمنجز كين لوتش على الكتاب الجيد الذي يعتبر اول محاولة لاستكشاف عالم لوتش وكتبه انتوني هيوارد «على اي معسكر تقف: كين لوتش وافلامه»:

Which Side Are You On Ken Loach and his Films by:
Anthony Hayward
Bloomsbury/ 2005

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

كين لوتش حاملا السعفة الذهبية بعد فوز فيلمه «الريح التي هزت حقل الشعير» في مهرجان كان الاخير

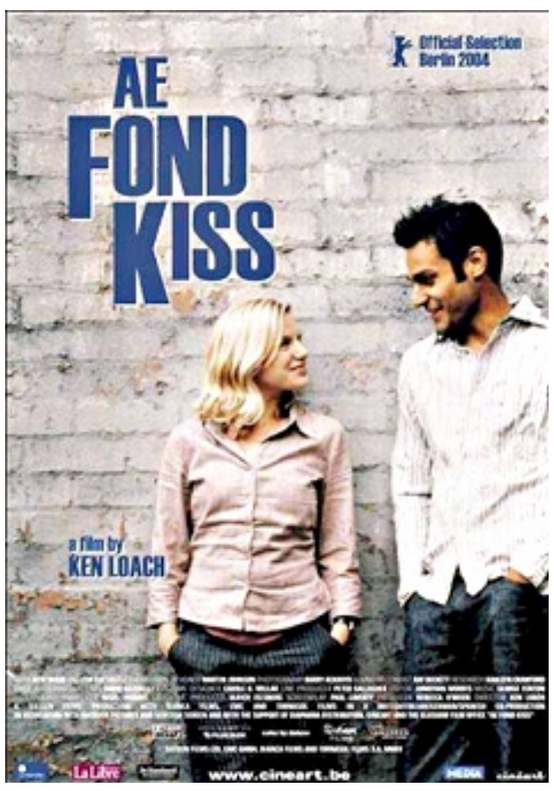

الشيوعيّ الأخير يذهب إلى السينما

سعدي يوسف

ملحوظة هامّةٌ جداً :

يقال في الصحافة المحترفة إن الخبر الجيد يجب أن يتضمّن أربعة أجوبة عن أربعة أسئلة : متى ؟ أين ؟ ماذا ؟ مَن ؟
وبما أن الشيوعي الأخير لم يحترف الصحافة المتاحة لأسباب ليست خاصّةً به ، كما يقول ، فقد تصرّفَ كما يحلو له ، مكتفياً بـ " أين ؟ " و " ماذا ؟ " و " مَن ؟ " .
أي أنه قفزَ على " متى ؟ " قفزاً . أمّا " مَن ؟ " فقد اكتفى فيها بذكْرِ الحرف الأول من اسمه ، وقد يكونُ تصرُّفُه هذا نتيجةَ تربية قديمة في العَملِ السرّيّ .
الخطّة واضحةٌ ، لديه ، في الأقلّ . وهي تشملُ النقاطَ الأربعَ المدْرَجة في أدناه :

1– موقع السينما .
2– موقع الشيوعي الأخير في قاعة السينما .
3– الفيلم المعروض .
4– تأمُّلاتُ الشيوعيّ الأخير بعد انتهاء العَرض .

موقعُ السينما

لا تمتلكُ الدارُ اسماً حتى الآنَ
ولا تمتلكُ الدارُ لموقعها رسماً حتى الآنَ
ولكنّ الناسَ يحبّونَ الذكرى . يُحْيُونَ الذكرى . يَحْيَونَ مع الذكرى .
ولهذا منحوا تلكَ الدارَ اسماً : دارَ الذكرى ..

***

كنا نتساءلُ ، كلَّ مساء : أين الدارْ؟
فيقالُ لنا : دارُ العَرْض تغَورُ عميقاً في الأرض ..
نقولُ : إذاً .. مَنْ يدخلُها ؟

***

بعدَ طواف ، وبحارٍ ، وضفافٍ
أبصرْنا المبنى ..
كان جداراً منخفضاً من طينٍ معجونٍ بالتّبْنِ ..
المبنى كان بلا بابٍ
كان بلا محراب ؛
كان وطيئةً أنعامٌ بين جذوعٍ خاويةٍ.
ها نحنُ أولاء هناكَ ..
بلَغْنا دارَ الذكرى !

موقع الشيوعي الأخير في قاعة السينما
" دارُ الذكرى " ، دارُ للعَرضِ الصيفيّ
والناسُ بها يقتعدون الأرضَ
إلاّ أصحابَ الدارِ .. فقد كانت لهمو بضعُ أرائكَ مستوردةٍ
في الصفّ الأولّ .
كان الناسُ طويلاً ينتظرون أماكنَهم ..
أمّا أصحابُ الدارِ فقد جلسوا منذ الآن ، وجاؤوا بكؤوسٍ وقناني ماءٍ .
والناسُ يلوبونَ
عطاشَى
أنهكَهم قيظُ الصيفِ
وبُعْدُ الدارِ ..
ويسألُ " سَ " : أليس لنا ، أعني ، نحن الناسَ ، مكانٌ؟
قيلَ : اجلسْ أنّى شئتَ !
وفكّرَ " سَ " : الأفضلُ لي أن أقتعدَ الأرضَ بآخرِ صفٍّ ..
سوف أرى الناسَ جميعاً
وأرى الفيلم ..

الفيلمُ المعروض

عن أيّ مزرعة هنا ، يتحدّثُ الفيلمُ ؟ الخرافُ تدورُ والغزلانُ ، ثَمَّ زرِيبةٌ يُقعي بها بشرٌ عراةٌ . والذئابُ تنامُ نصفَ منامها المألوف . تهبطُ بالمظلاّت النساءُ وقد لبسنَ ملابسَ العَوم . الزريبةُ أشرعَتْ أبوابَها للقادمات من الفَضاء
يهللُ البشرُ العُراةُ : المنقذاتُ أُتينَ ! كانت في السماء سفينةٌ بحريةٌ ميناؤُها " جَنَوا " . النساءُ يطرْنَ نحو سفينة الخشب الجميلة تاركات في الزريبة ما خلَعنَ . ويهتفُ البشرُ العراةُ وقد تقدّمت الذئابُ إلى الزريبةَ : يا إله النارِ ! أشعِلْ عودَ كبريتٍ لتنقذنا .. ستأكلُنا الذئابُ الليلةَ . الغربانُ في الثُكُنات .

تأمُّلاتُ الشيوعيّ الأخير بعدَ انتهاءِ العَرض

سوف يستغرقُ الحديثُ طويلاً لو أردْنا ، لكننا رفقةٌ لا نُتقنُ اللفَّ والملفَّ ..
انتهى " سَ " من العَرض ، ساهماً .. كان مشدوداً إلى فكرة : هل يكونُ الفيلمُ وهماً ؟ والقصدُ : هل كانَ الحقيقةَ المرّةَ ، العلقَمَ ما شاهدَ ؟ السفينةُ في الجوّ .
انتبهْ يا أيها العاملُ الشيوعيُّ .. إن العالَمَ اليومَ يظهرُ بالمقلوب .. ماذا عليكَ أن تفعلَ ؟ الشيوعيّ كارل ماركس قد قالَها : سنقلبُها حتى نرى السفينةَ في البحر ..
الشيوعيُّ " سَ " يسري وحيدا .

لندن 23/5/2006

الايام العربية الاسبانية في طنجة

طنجة «القدس العربي»:

القت الأيام الأدبية العربية الإسبانية بطنجة، التي شارك فيها نخبة من الأدباء والنقاد من الضفتين، الضوء على واقع الأدب بضفتي البحر الأبيض المتوسط.

وناقش المشاركون في هذه الأيام الأدبية، التي تنظمها سفارة إسبانيا ووزارة الثقافة الإسبانية ووزارة الثقافة المغربية واتحاد كتاب المغرب، واقع الشعر والمسرح والرواية ببلدان ضفتي البحر الأبيض المتوسط مع التركيز على المغرب وإسبانيا.

وانطلقت الأيام الأدبية بحفل فني أحيته فرقة الموسيقى الأندلسية، وهي الموسيقى التي تشكل جسر وصل بين التراث الفني بإسبانيا والمغرب ورمزا حيا للتلاقح الثقافي بين البلدين.

وخلال ندوة حول «حاضر ومستقبل المسرح بالضفتين»، ناقش المشاركون يوم الثلاثاء المسرح الإسباني والنجاح الذي يحظى به على مستوى البحر الأبيض المتوسط.

وأكد الناقد المسرحي الإسباني ومدير المعهد الدولي للمسرح المتوسطي خوصي مونليون أن التجربة المسرحية الإسبانية، التي أسس لها غارسيا لوركا، لاقت نجاحا ومكنت من نشر ثقافة المسرح لدى الشعب الإسباني.

واعتبر أن المسرح شكل على الدوام جسرا يقرب بين ثقافات بلدان البحر الأبيض المتوسط، مستشهدا باقتباس عدد من المسرحيات المغربية من أعمال لوركا، والتي ستجمع في مؤلف يسهر على إعداده مجموعة من طلبة الأدب الإسباني بالمغرب.

وشدد مونليون على ضرورة الاهتمام بنشر الدراسات المسرحية والنصوص الأدبية التي تساهم في التقريب بين شعوب المنطقة مشيرا إلى أن المعهد بصدد إصدار كتاب بعنوان «لقاء الضفتين» يتضمن قصصا قصيرة حول العلاقات الإسبانية المغربية.

واستعرض الناقد المسرحي المغربي خالد أمين تجربة فن الخشبة في المغرب، والتي انطلقت مع افتتاح مسرح سيرفانتيس بطنجة سنة1913 ، والبحث عن الهوية بين «المسرح التأصيلي» والمسرح التغريبي».

واعتبر أن هذه الازدواجية في هوية المسرح المغربي، بعد دخول المسرح بتقاليده الغربية إلى المغرب، طبيعية نظرا لانتشار ثقافتي الحكي (شبيهة بالمسرح السردي) والفرجة (شبيهة بالمسرح الدرامي) في الثقافة الشعبية.

واقترح رشيد أمحجور، مندوب وزارة الثقافة المغربية افتتاح فرع للمسرح الدولي للمسرح المتوسطي بطنجة الذي من شأنه تمكين المسرح المغربي من الاستفادة من تجربة المعهد في ظل غياب برنامج تعاون بين الجانبين.

وأضاف أن التجربة المسرحية بالعالم العربي ما زالت متعثرة مع استثناءات قليلة على رأسها المسرح المصري الذي تعد ثقافته متجذرة.

وشهدت الأيام الأدبية العربية الإسبانية بتنظيم ثلاث ندوات ثقافية في مواضيع «الرواية في مجتمعات تتحول سياسيا» و«الشعر بالضفتين» و«الفلسفة في عالم معولم» وأمسية شعرية للمبدعين أحمد بخات وعبد اللطيف بنيحيى، ترافقها تقاسيم موسيقية من إبداع أمين الصوفي وجمال بنعلال.